التجديد في شكل القصيدة عند صفي الدين الحلي
(دراسة وصفية تحليلية)

م.د عادل علي عبود
جامعة البصرة/ كلية الآداب / قسم اللغة العربية

الملخص :

حصلت في تاريخ الأدب العربي تغييرات بسيطة مفردة على شكل القصيدة الا انها لم تصل الى ان تشكل ظاهرة أدبية، لكن التغيير الواضح ظهر في الأدب العباسي عند بعض الشعراء الذين كان لديهم ميل الى النزعة الشعبية مثل أبي العتاهية وبشار بن برد وعبد الصمد بن المعذل وكان الشاعر صفي الدين الحلي من اعلام الشعراء في هذه الفترة ومن أبرز اللذين جددوا على شكل القصيدة العربية حيث نظم في اشكال عدة للقصيدة ولم يلتزم بشكل القصيدة التقليدي (المعروف) وقسم شعره بين الشعر الفصيح والمستحدث.

الكلمات المفتاحية: (صفي الدين الحلي، المخمسات، المسمطات، الموشح، الزجل، القوما، المواليا).

The renewal in the poetic form in the poetry of Safi Al-Din Al-Hilli
[An Analytical Study]

Lec. Dr. Adil Ali Abbod

Al-Basrah university \ Faculty of literature \ department of the Arabic language

Abstract:

In the history of Arabic literature, simple, single changes occurred in the form of the poem, but it did not reach the point of constituting a literary phenomenon. However, the clear change appeared in Abbasid literature among some poets who had a tendency toward popular tendencies, such as Abu al-A'tahiya, Bashar ibn Burd, and Abd al-Samad ibn al-Mu'addal. Safi al-Din al-Hilli was one of the most well-known poets of this period and one of the most well-known people who innovated the form of the Arabic

poem and he did not adhere to the traditional (known) form of the poem and divided his poetry between classical poetry and modern poetry.

Keywords: (Safi Al-Din Al-Hilli, Al-Mukhamsat, Al-Musmatat, Al-Muwashah, Al-Zajal, Al-Quma, Al-Mawaliya).

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد وعلى ال بيته الطيبين الطاهرين.

يناقش هذا البحث اشكال القصيدة عند الشاعر صفي الدين الحلي إذ ينقسم شعر الحلي الى قسمين: قسم نظمه للنخبة من الامراء والولاة واعيان المجتمع في ديوانه الكبير، والقسم الاخر تمثل بالفنون الشعرية المستحدثة- نظمه للمجتمع بشكل عام- في ديوانه الصغير (العاطل الحالي والمرخص الغالي) بدءا بفن الزجل، ثم القوما، والكان، وكان، والمواليا.

يعد تجديد الشاعر صفي الدين في شكل القصيدة واحدا من تجديداته الاخر في الشعر بشكل عام ومن ذلك كثرة معارضاته الشعرية للشعراء فقد عارض المتنبي وكذلك عارض ابي بكر بن تقي المغربي في موشح وغيرهم من الشعراء. وكذلك التجديد في فنون البديع في قصيدته الكافية البديعية.

حصلت في تاريخ الأدب العربي تغييرات بسيطة مفردة على شكل القصيدة الا انها لم تصل الى ان تشكل ظاهرة أدبية، لكن التغيير الواضح ظهر في الأدب العباسي عند بعض الشعراء الذين كان لديهم ميل الى النزعة الشعبية مثل أبي العتاهية وبشار بن برد وعبد الصمد بن المذل، وهؤلاء شعراء الغناء والمجون، من ذلك قول عبد الصمد بن المعدل:

قال خبل ماذا الخجل

هذا الرجل حين احتفل

وربما شجعهم على ذلك الاقتداء بابي نواس في قوله:

سلاف دن كشمس دجن كدمع جفن كخمر عدن

طبيخ شمس كلون ورس ربيب فرس حليف سجن

يا من لحاني على زماني اللهو شأني فلا تلمني

أكثر الشعراء العباسيون من النظم على الاوزان الخفيفة، وتجزئه الاوزان الطويلة المعقدة مقتدين في ذلك بشعراء العصر الاموي، وأكثر من النظم على وزن المجتث الذي اكتشفه الوليد ابن يزيد واكتشفوا بجانبه ثلاثة اوزان جديدة هي وزن المضارع والمقتضب والمتدارك والخبب

ومثال المضارع قول ابي العتاهية:

فيا عتب ما يضرك ان تطلقي صفادي

فضلا عن النظم في هذه الاشكال الجديدة مثل المزدوج لموضوعات الشعر التعليمي التغيير الاكبر الذي حصل على شكل القصيدة كان بعد سقوط الدولة العباسية (وقيام عصر سلاطين المماليك في مصر وبلاد الشام (في العصور المتأخرة).

كان الشاعر صفي الدين الحلي من اعلام الشعراء في هذه الفترة ومن أبرز اللذين جددوا على شكل القصيدة العربية، نظم في اشكال عدة للقصيدة ولم يلتزم بشكل القصيدة التقليدي (المعروف).

قسم الشاعر صفي الدين الحلي شعره بين الشعر الفصيح والشعر المستحدث بعد ان رآه رائجا بين فئات المجتمع في هذه الفترة (العصور المتأخرة).

الديوان الكبير: تنوعت اشكال القصيدة في ديوانه الكبير، حيث تضمن الشعر الفصيح القصيدة التقليدية (القريض) وشعر (الموشحات)، والدوبيت، والمخمسات، والمسمطات وخصص (كتابه)

الثاني الصغير (العاطل الحالي والمرخص الغالي) لهذه الفنون الشعرية المستحدثة. تضمن هذا الكتاب: قسم أول درس فيه الحلي هذه الفنون دراسة نظرية تفصيلية شاملة تضمنت زمن ظهور كل فن منها، وكذلك الشعراء الذين نظموا فيها، والاوزان الشعرية لكل فن، والقسم الثاني تضمن شعره الذي نظمه منها هو بنفسه.

حظي كتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي بعدد من الدراسات البحثية لأهميته ولكونه أول كتاب خصص لدراسة الفنون الشعرية المستحدثة والنظم فيها، اما مؤلفات علم العروض فلم تتطرق لدراسة هذه الفنون باستثناء بعض منها، وأشهر من درسها في العصر الحديث دكتور صفاء خلوصي في كتابه (فن التقطيع الشعري والقافية) في حين اقتصر أكثر مؤلفي العروض على دراسة اوزان الخليل ولم يتطرقوا لهذه الفنون.

جمعتْ هذه الدراسة بين اشكال القصيدة في الديوان الكبير وبين ديوانه الثاني آنف الذكر.

يتكون البحث من مدخل ومبحثين تطرقتُ في المدخل الى تطور الاوزان الشعرية خلال عصور تاريخ الادب بإيجاز، ومبحثين الأول تطرقت فيه الى اشكال القصيدة في ديوان الشاعر الكبير والثاني عن الفنون الشعرية المستحدثة في ديوانه الثاني (العاطل الحالي والمرخص الغالي) ثم ختمت البحث بأبرز النتائج ومن الله السداد والتوفيق.

مدخل

بدأ الشعر العربي بالأوزان التقليدية – الاوزان التي صنفها الخليل ابن احمد الفراهيدي– او كما يسميها الدكتور ابراهيم انيس الاوزان القومية، قال (هناك أذن أوزان للشعر كثيرة الشيوع مألوفة محبوبة يطرقها كل الشعراء وينسجون عليها معظم اشعارهم، كما ان هناك اخرى نادرة لا تستدعيها الآذان ولا يلجا اليها الشعراء الا في القليل من الاحيان، ينظمون منها قطعا صغيرة رغبة في التنويع والتجديد،

فأمّا الاولى فتلك التي يصح تسميتها بالأوزان القومية، في حين ان الأخرى اما ان تكون بقايا اوزان قديمة قد انقرضت او كادت، او تكون مما يتفكه به الشعراء من اوزان مخترعة لم يسبقوا اليها)[١]، قصد الدكتور ابراهيم انيس هنا ان الاوزان الاكثر شيوعا التي نظم فيها الشعراء هي الاوزان التقليدية او كما يسميها الاوزان القومية وهي اوزان عروض الخليل

لم ينظم الشعراء في عهود حكم الخلفاء والولاة العرب شكلا اخر من اشكال القصيدة التقليدية والتزموا بعمود الشعر باستثناء بعض مظاهر التغيير الجزئي هنا وهناك -باستثناء المزدوج وشعر المواليا في اواخر العصر العباسي- ، وذلك ان الخلفاء لم يكن يناسب مكانتهم شكلٌ اخر للقصيدة – في موضوع المديح خاصة – سوى الاوزان التقليدية التي اسماها دكتور ابراهيم انيس الاوزان القومية فظلوا ينظمون على الشكل التقليدي منها، حتى تغير هذا الموضوع في العصور المتأخرة التي تلت سقوط الخلافة العباسية وخضوع البلاد العربية جميعها – لحكم الأعاجم في مصر في العهد المملوكي وفي بلاد الشام – واخذ الشعراء يميلون إلى الجمع بين القصيدة التقليدية و الفنون الشعرية المستحدثة وما يناسب طبيعة المجتمع. (لقي هذا الاتجاهمقاومة عنيفة مع اللغة الفصحى ،واهمله المؤلفون القدماء،لانه خرج ع طوق الأساليب الفصيحة الموروثة..... وصلتنا الموشحات وغيرها من الفنون الشعرية من المشرق والمغرب على السواء، فمن المشرق جاءنا الرباعي والمواليا، ومن المغرب جاءتنا الموشحات والأزجال [٢].

وقد سبق هذا التغيير في شكل القصيدة، تطوراً مميزاً في مجرى الحياة الأدبية يقول الدكتور محمد زغلول سلام (حين نطلق لفظ الأدب ألشعبي فإنما نريد به الأدب الذي يحمل خاصيتين، أولهما ان يكون بلغة عامية ملحونة أي بلغة عامة الشعب والناس في أحاديثهم ألعامة، وقضاء حاجاتهم أليومية، وثانيهما أنه يعرض لحياة الناس من عامة الشعب)[٣] (ولو لاحظنا في الادب العربي عامة والمصري خاصة اتجاها الى هذا اللون من الادب منذ القرن السادس الهجري، وكانت قد تعددت الوانه ظهورا في المشرق والمغرب في بلاد العراق وفارس وفي الاندلس والمغرب، ثم ما بينهماواظهر تلك الالوان في المنظوم القوما والكان وكان والمواليا والزجل والموشح.....)[٤] ويقول احد الدارسين (فمن العناصر التي تساهم في شعبية النص الشعري ارتباطه بحياة الشعب وانتزاع موضوعاته منه فتتحقق شعبية ذلك

النص كما يرى الدكتور أحمد قنشوبة بطرقه لموضوعات تهم مجموع الناس وتحرك مشاعرهم وأحاسيسهم، تناولهم للمعطيات من حياة الشعب وذاكرته ومخيلته الجماعية، وهذا لم يكن غائبا عن رؤية النقد المدون فقد وقف النقاد القدماء عند هذه الموضوعات الشعبية، ورأوا أن الشاعر يكون قريبا من عامة الناس إذا تناول موضوعات تدور في حياتهم، ويذهب إلى هذا صاحب الأغاني فيبرز وجهة نظره بمثال من حياة بشار بن برد وشعره، وكيف أن القدماء ممن عاصروه أو جاءوا بعده أخذوا عليه ظاهرة التفاوت في شعره بين موضوعات للنخبة وموضوعات للعامة، فهو عندما اعترضوا عليه في هذا التفاوت قال: " لكل وجه وموضع فالقول الأول جد و هذا قلته في ربابة جارتي... فهذا عندها من قولي أحسن من قفا نبك"، والملاحظ أن أبا الفرج من خلف إيراد هذا المثال يدرك أن هناك طبقات شعبية يعجبها الشعر الذي يصور حياتها، وأنه يدرك أيضا أن الشعراء الكبار كبشار لم يهملوا تلك الطبقات، وسعوا إلى معالجة موضوعات من صميم الحياة الشعبية العميقة، ونلاحظ كذلك أن هذا التوجه إلى الحياة الشعبية ازداد وتطور أكثر في العصر العباسي وما بعده ففي العصر العباسي ظهر شعراء وأدباء شعبيون بمعنى الكلمة تحدثوا في شعرهم ونثرهم عن الفقر والغنى والحياة والموت والسعادة والحرمان..)[٥] وعن نظم الشاعر صفي الدين الحلي في اشكال مختلفة في ديوانه الكبير- سآتي على ذكرها- فضلا عن الفنون الشعرية المستحدثة في ديوانه الثاني الصغير (العاطل الحالي والمرخص الغالي) وفقا لما جاء في حديثه عن هذه الفنون في مقدمة الديوان يقول: (فاني كنت أضفت إلى ديوان أشعاري فني الموشح والدوبيت لتحليهما بالإعراب ونسجهما على منوال لفظ الإعراب، وأعريته من الفنون الأربعة التي لحنها إعرابها، وخطأ نحوها صوابها، وهي: الزجل، والمواليا والكان وكان والقوما. فهي الفنون التي اعرابها لحن، وفصاحتها لكن، وقوة لفظها وهنٌ، حلال الأعراب بها حرام وصحة اللفظ بها سقام، يتجدد حسنها إذا زادت خلاعة وتضعف صناعتها إذا أودعت من النحو صناعة. فهي السهل الممتنع، والأدنى المرتفع، طالما أعيت بها العوام الخواص، وأصبح سهلها على البلغاء يعتاص، فان كلف البليغ منها فنّا، تراه يزيغهُ (يتجرّعهُ ولا يكاد يسيغه) ،فمعرفتها بالطبع السليم ،وآفتها من الفهم السقيم، ولاسيما فن الزجل الذي تختلف أوزانه ويضطرب ميزانه .....ومجموع فنون النظم عند سائر المحققين سبعة فُنون، لا اختلاف في عددها بين أَهل البلاد، وإنما الاختلاف بين المغاربة والمشارقة في فَنّين منها، وسيأتي ذكرهما والسبعة المذكورة هي: عند

اهل المغرب ومصر والشام وهذه: الشعرُ القَريضُ، و المُوَشَّح، والدَّوبيت، والزَّجل، والمواليا، والكان وكان، والحماق، وأَهل العراق وديار بكر ومن يليهم يثبتون الخمسة منها ، ويبدّلون الزجل والحماق بالحجازي والقوما. وهما فنان اخترعها البغاددة للغِناء بها في سُحور شهر رمضان خاصة، في عصر الخلفاء الراشدين من بني العبَّاس [٦] ثم يستأنف الشاعر صفي الدين الحلي في شرح وتوضيح ما يتعلق بالفنون الشعرية المستحدثة حيث يقول: وعند جميع المحققين أن هذه الفنون سبعة: منها ثلاثة معربة أبدا، لا يغتفر اللحن فيها، وهي الشعر، والموشح، والدوبيت ولهذا أفردتها في ديواني الكبير، ومنها ثلاثة ملحونة أبدا وهي الزجل، والكان وكان والقوما، ومنها واحد هو البرزخ، يحتمل اللحن والإعراب، وإنما اللحن فيه أحسن وأليق، وهو المواليا [٧].

يتبين لنا من خلال رأي الشاعر صفي الدين الحلي: انه لم يكن يقصد -أولا - النظم في الفنون المستحدثة لأنها غير معربة وكذلك ابتعاد اكثر شعراء عصره الاعلام عن هذه الفنون لذلك لم يودعها في ديوانه الكبير الذي اقتصره على القصيدة التقليدية العمودية فضلا عن بضع قصائد في الموشحات والدوبيتات والمخمسات، ثم وعد بتخصيص كتابٍا مفردا لها كي يفرق بين الشعر الفصيح والشعر المستحدث (العاطل الحالي والمرخص الغالي) ومعنى هذا العنوان الذي عنونه به: ان الشعر الذي في الديوان المذكور، بين الشعر المقبول معنى وجمالا ومقبول اجتماعيا وغير المقبول بناء كونه نظم باللهجة العامة وغير مقبول من الطبقة الخاصة، ولجدته على نظم الشعر (العاطل) وكذلك قوله المرخص الغالي. وقد وضح وشرح هذه الفنون في كتابه هذا وبين فيه طبيعتها، ونظم شيئا منها- وهذا من حسن العمل- اذ ان الفنون الشعرية العامة التي تمثل حياة المجتمع وتناسب الوضع التاريخي في فترة العصور المتأخرة تستحق هذا الاهتمام، وكذلك لقناعته بأن لا ضير من النظم لطبقات الشعب بهذه الفنون وموافقتها للفترة التاريخية، ومثل لها بالأشعار من شعراء عصره الذين نظموا فيه وكذلك مما نظمه هو نفسه من هذه الفنون.

بدايات التنويع في اشكال القصيدة:

بدأ التنويع في الشعر بالقافية والتفنن بها بـ (المزدوج) وفيه يعتمد الشاعر على تصريع ابيات القصيدة جميعها واميز ما يكون ذلك في الأراجيز، وأفضل موضوعات هذا اللون من القافية -التي

كان بشار وابو العتاهية من روادها الاوائل- الامثال والحكم والقصص والمنظومات العلمية، ولأبي العتاهية أرجوزة من هذا الطراز عدّتها أربعة آلاف بيت وهي التي وسمها {بذات الأمثال} ونظم أبان بن عبد الحميد اللاحقي كتاب كليلة ودمنة {ترجمة ابن المقفع} بهذا الاسلوب ايضا، ويدخل في هذا الصنف {ملحة الأعراب في قواعد الإعراب} للحريري. ومزدوجة ابن المعتز في الشراب، ومزدوجة بشر بن المعتمر في فضائل على .....، فهي السهل الممتنع، والأدنى المرتفع [٨].

وعن الشعر المزدوج يقول ابن رشيق: وأكثروا من هذا الفن حتى اتوا به مصراعين مصراعين فقط، وهو المزدوج الا ان وزنه كله واحد، وان اختلفت القوافي كذات الامثال، وذات الحلل، فمما يقول ابو العتاهية في ذات الامثال [٩]:

ما أكثر القوت لمن يموت حسبك فيما تبتغيه القوت

من اتقى الله رجا وخافا الفقر فيما جاوز الكفافا

ان كنت أخطأ فما أخطأ القدر هي المقادير فلمني اوفذر

وكما يظهر ان شكل الشعر المزدوج كان في الموضوعات التعليمية، وليس في موضوعات الشعر التقليدية المعروفة، فضلا عن طول هذه القصائد التعليمية وهي تخاطب الفكر اولا لذلك كان من المناسب ان تنظم بهذا الشكل.

المبحث الأول: أشكال القصيدة في الديوان الكبير

أشكال القصيدة في الديوان الكبير للشاعر صفي الدين الحلي تضم ثلاثة اشكال هي القصيدة التقليدية (العمودية) والموشح، وبعض أبيات من شعر الدوبيت والرباعيات والمخمسات والمسمطات، وسأتحدث عنها جميعها.

. الموشح (مقدمة وتعريف)

لم نجد تعريفا جامعاً مانعاً للفظة (الموشح): فصاحب(التاج) يقول في مادة (وشح) أنّ شيخه (قد استدرك على الفيروز أبادي فقال: التوشيح – اسم لنوع من الشعر استحدثه الأندلسيون، وهو فن

عجيب له أسماط وأغصان وأعاريض مختلفة، وأكثر ما ينتهي عندهم إلى سبعة أبيات)، ويعرفه ابن سناء الملك بقوله: الموشح كلام منظوم على وزن مخصوص. (ويعرفه الدكتور محمد مهدي البصير بأنه: ضرب من الكلام المنظوم، تتعدد أوزانه وتتنوع قوافيه، تبعاً لرغبة قائله، وقدرته على التصرف في أفانين الكلام) [١٠]

اما عن اول من وضع كتابا في فن الموشحات في المشرق فهو الشاعر صفي الدين الحلي، وعن ذلك يقول الدكتور مصطفى صادق الرافعي (لم يوضع في صناعة الموشح ووجه نظمه واسماء اوزانه فيما نعلم، غير كتاب واحد وضعه صفي الدين الحلي الشاعر المتوفى سنه ٧٥٠ هـ، وهذا الكتاب لم ينته الينا الا خبره [١١].. وهو يقصد هنا كتاب العاطل الحالي والمرخص الغالي حيث لم يضع الحلي كتابا مفردا للموشح وانما كان ضمن الكتاب المذكور، حيث يضيف الرافعي يقول (وضع صفي الدين حلي ديوانا اسمه العاطل الحالي والمرخص الغالي وقد اوضح فيه قاعدة الفنون الشعرية جميعها وهي الموشح والدوبيت والزجل والمواليا والكان وكان والقوما واورد امثله من نظمه [١٢].

في المشرق جمع الكاتب الاديب صلاح الدين الصفدي في كتابه (توشيع التوشيح) مجموعة من نظمه في شعر الموشح، ومجموعة من شعر غيره من الشعراء، وتحدث عن ظهور الموشح ورأيه فيه قال: (فاني نظرت يوما فيما اتفق لي نظمه من الموشحات، ونسجته من برودها الموشحات، فوجدتها جملة جميلة، وعدة تضاهي زواهر السماء، وتباهي أزهار الخميلة، الا أنها في التذكرة ضائعة، ونفحاتها في أماكن متفرقة ضائعة، فآثرت جمعها في ديوان يضم شملها من التشتيت، وسلك يفيد الملتقط جوهرها ولا يفيت، مع علمي أنها ليست مما يجمع، ولا من النظم الذي يسمع ولكن كل حيوان يعجبه طنين رأسه.....) [١٣]

يظهر من قول الصفدي انه لم يكن يميل لنشر مانظمه من الموشحات ضمن مؤلفاته بسبب التزام أهل عصره بالنظم على شكل القصيدة العربية، فكأنه يعتذر عن ذلك فرأى ان يجمعه في كتاب لمفرده اسماه فيما بعد بـ (توشيع التوشيح).

وقام صفي الدين الحلي بنظم مجموعة من الموشحات في ديوانه الكبير، ومن ذلك موشحه الذي يقول فيه [١٤]:

زارَ وَصِـــبغُ الظَـــلامِ قَـــد نَصَـــلا ... بَـدرٌ جَـلا الشَـمسَ فـي الظَـلامِ أَلا

جاءَ وَسِجفُ الظَلامِ ... قَد فُتِقا فَاِعجَبَ

وَالصِبحُ لَم يُبقِ ... في الدُجى رَمَقا

وَقَد جَلا نورُ وَجهِهِ ... الغَسَقا

وَأَدهَـــمُ اللَيـــلِ مِنـــهُ قَـــد جَفَـــلا ... وَقَـــد أَتـــى رائِـــدُ الصَـــباحِ عَلـــى

أَفديهِ بَدراً في ... قالِبِ البِشَرِ أَشهَب

قَد جاءَ في حُسنِهِ ... عَلى قَدَرِ

يَرتَعُ في رَوضِ ... خَدِّهِ نَظَري

خَـــدٌّ بِلُطـــفِ النَعـــيمِ قَـــد صُـــقِلا ... كَأَنَّـــهُ مِـــن دَمـــي إِذا خَجَـــلا

يا مَن غَدا ظِلُّ ... حُسنِهِ حَرَماً يُخضَب

لَمّا حَوى ما بِهِ ... الجَمالُ حَمى

فَرعاً وَصُدغاً إِن ... حُكِّما ظَلَما

فَـــأَرقَمُ الجَعـــدَ تَحـــرُسُ الكَفَـــلا ... وَحـــارِسُ الحَـــدِّ مِنـــهُ قَـــد جُعِـــلا

هَلّا تَعَلَّمتَ بَذلَ ... وُدِّكَ لي عَقرَب

مِنَ المَليكِ المُؤَيَّدِ ... اِبنِ عَلِيّ

سُلطانِ عَصرٍ مُسَمّى ... عَلى الوَلي

لَـــولا أَيـــادٍ بِهـــا الـــوَرى شَـــمَلا ... لَأَصـــبَحَ النـــاسُ كَالسَـــماءِ بِـــلا

مَلكٌ مَعانيهِ ... لِلوَرى حَرَمُ كَوكَب

إلى مَعاليهِ يَنتَهي الكَرَمُ

قَد أَغرَقَ الناسَ سَيلُهُ العَرِمُ

سَحابُ جودٍ عَلى الوَرى هَطَلا لا بَرقُهُ مُبطِئُ النَوالِ وَلا

حَماةُ أَصبَحتِ لِلأَنامِ حِمى خُلَّب

حَوَيتِ مَلكاً عَلى المُلوكِ سَما

بَحراً غَدا بِالعُلومِ مُلتَطِما

مَلكٌ لِرِزقِ الأَنامِ قَد كَفَلا فَصارَ في الناسِ جودُهُ مَثَلا

يا مَن عَطاهُ قَبلَ السُؤالِ بَدا

وَمَن حَبانا قَبلَ النِدا بِنَدى

هَيهاتَ يُنسى صَنيعُكُم أَبَدا

عَبدٌ عَلى فَرطِ حُبِّكُم جُبِلا عَلَيكُمُ إِن قامَ أَو رَحَلا

وقال من الموشح المجنح ويسمى ايضا الشعرى [١٥]:

عَزَمتَ يا مُتلِفي عَلى السَفَرِ واطولَ خَوفي عَلَيكَ واحَذَري

يُؤيِسُني مِن لِقاكَ قَولُهُمُ بِأَنَّهُ لا رُجوعَ لِلقَمَرِ

تَمَهَّل مُضنى جَفاك تَحَمَّل ذُبتُ في هَواك

يا مَن حَكى الظَبيَ في تَلَفُّتِهِ وَفاقَهُ بِالدَلالِ وَالخَفَرِ

أَتلفتَني بِالصُدودِ مُعتَدِياً فَذَلَّ عِزّي وَعَزَّ مُصطَبَري

تَدَلَّل مُهجَتي فِداك تَسَهَّل بَعضُ ذا كَفاك

وَدَّعتَني وَالدُموعُ سائِحَةٌ لَو عَرَضَت لِلمَطِيَّ لَم تَسِرِ
وَخاطِري بِالفُراقِ مُنكَسِرٌ وَلاعِجُ الوَجدِ غَيرُ مُنكَسِرِ
مُبَلبَل أَرتَجي لِقاك أُعَلَّل أَنَّني أَراك
عَلَيكَ جِسمٌ كَالماءِ رِقَّتُهُ يَضُمُّ قَلباً قُدَّ مِن حَجَرِ
وَطَلعَةٌ كَالهِلالِ مُشرِقَةٌ تُزهى عَلى غُصنِ قَدِّكَ النَضِرِ
إِذا أَقبَل يَخجَلُ الأَراك وَيَذبُل عِندَما يَراك
إِن قيلَ قَد رُمتَ في الهَوى بَدَلاً فَانظُر فَليسَ العِيانُ كَالخَبَرِ
فَتِّش فُؤادي فَأَنتَ ساكِنُهُ فَليسَ فيهِ سِواكَ مِن بَشَرِ
تَأَمَّل هَل بِهِ سِواك لِيُقفَل مُقتَضى رِضاك
كَأَنَّ نارَ الجَحيمِ هَجرُكَ لي لَم تُبقِ مِن مُهجَتي وَلَم تَذرِ
إِن كانَ أَقصى مُناكَ سَفكَ دَمي فَليسَ عِندي لِذاكَ مِن أَثَرِ
أَيَحمِل حَتفاً مَن رَجاك وَيُقتَل وَهوَ في حِماك
يا قَلبِ قَد كانَ ما بُليتَ بِهِ فَاصبِر لِحُكمِ القَضاءِ وَالقَدَرِ
فَالصَبرُ كَالصَبرِ في مَرارَتِهِ لَكِنَّ فيهِ عَواقِبَ الظَفَرِ
تَحَمَّل في الهَوى أَذاك نُذَلَّل كَي نَرى مُناك

والموشح المضمن (,وهو من مخترعاته التي لم يسبق اليهاوالابيت المضمنة منحولة لابي نواس) (١٦)

وَحَقِّ الهَوى ما حُلتُ يَوماً عَنِ الهوى وَلَكِـنَّ نَجمـي فـي المَحَبَّـةِ قَـد هَـوى

ما كُنتُ أَرجو وَصلَ مَن قَتلي نَوى ... وَأَضنى فُؤادي بِالقَطيعَةِ وَالنَوى

لَيسَ في الهَوى عَجَبُ ... إِن أَصابَني النَصَبُ

حامِلُ الهَوى تَعِبُ ... يَستَفِزُّهُ الطَرَبُ

أَخو الحُبِّ لا يَنفَكُّ صَبّاً مُتَيَّما ... غَريقَ دُموعٍ قَلبُهُ يَشتَكي الظَما

لِفَرطِ البُكا قَد صارَ جِلداً وَأَعظُما ... فَلا عَجَبٌ إِن يَمزُجَ الدَمعَ بِالدِما

الغَرامُ أَنحَلَهُ ... إِذ أَصابَ مَقتَلَهُ

إِن بَكى يُحَقُّ لَهُ ... لَيسَ ما بِهِ لَعِبُ

أَلا قُل لِذاتِ الخالِ يا رَبَّةَ الذَكا ... وَمَن بِضِياءِ الوَجهِ فاقَت عَلى ذُكا

شَكَوتُ غَرامي لَو رَثَيتِ لِمَن شَكا ... وَأَطلَقتِ دَمعي لَو شَفى الدَمعُ مَن بَكى

فَإِنثَنَيتِ ساهِيَةً ... وَالقُلوبُ واهِيَةً

تَضحَكينَ لاهِيَةً ... وَالمُحِبُّ يَنتَحِبُ

أَسَرتِ فُؤادي حينَ أَطلَقتِ عَبرَتي ... وَبَدَّلتِني مِن مُنيَتي بِمَنيَّتي

وَلَمّا رَأَيتِ السُقمَ أَنحَلَ مُهجَتي ... تَعَجَّبتِ مِن سُقمي وَأَنكَرتِ قِتلَتي

صِرتِ إِن بَدا أَلَمي ... عِندَما أَرَقتِ دَمي

تَعجَبينَ مِن سَقَمي ... صِحَّتي هِيَ العَجَبُ

تَحَجَّبتِ عَن عَيني فَأَيقَنتُ بِالشَقا ... وَآيَسَني فَرطُ الحِجابِ مِنَ البَقا

فَلَمّا أَمَطتُ السِترَ وَارتَحتُ بِاللِقا ... غَضِبتِ بِلا ذَنبٍ وَعاوَدتِني لِقا

حينَ تُرفَعُ الحُجُبُ ... مِنكِ يَصدُرُ الغَضَبُ

كُلَّما اِنقَضى سَبَبُ ... مِنكَ عادَني سَبَبُ

. الدوبيت (المربعات)

الدوبيت كما ذَكَرَ أقدم الكُتّاب من المحدثين الذين تحدثوا عن الفنون الشعرية المستحدثة مصطفى صادق الرافعي(نحن نرجح ان هذا النوع لم يكن بالعربية قبل القرن السابع لأننا لم نجده في شعر احد قبل ذلك الزمن ولا وجدنا اشارة اليه ولم نجد للشعراء ولع به الا في اواخر تلك المئة وما بعدها والرباع يعد من المخترعات الحديثة في اللغة الفارسية لان اول من وضعه ابو سعيد ابن الخير المتوفى سنه ٤٦٥ هجريه وبعضهم يقول انه كان موجودا قبل ذلك ولا يرجع اختراعه الى تاريخ معين[١٧] ،ويقول الدكتور صفاء خلوصي: وفيها يقسم الشاعر منظومته الى مجاميع كل مجموعة مؤلفة من اربعة اشطر يقفّيها بقافية واحدة ويسير فيها على وزن واحد ومنها لون يعرف (بالدوبيت) وقد اختفى من شعر المحدثين، ويكون كما يأتي:

أأأأ–ب ب ب ب–ج ج ج ج

ويفضل بعض الشعراء وهم قلة جعل الشطر الثالث مختلف القافية اي يجعلون الاشطر على صورة: أ أ ب أ

والدوبيت في وزنه خارج عن بحور الخليل الستة عشر فاسمه في الاصل (الدو بيت) ويعرف عند المحدثين(ببحر السلسلة) او(الرباعي) وقد اخذ في الاصل عن الفرس والاسم مركب من لفظتين(دو) بالفارسية ومعناها اثنان و(بيت) بالعربية، ذلك لان الفرس لم يكونوا ينظمون عليه اكثر من بيتين، وفي بعض التخريجات ان اصل اللفظة (ذو بيت) فحرفتها العامة الى (دوبيت) وعلى راي الدكتور مصطفى جواد ان العكس هو الصحيح وان اللفظة في الاصل (دوبيت) فحرفت على ألسنة العامة الى (ذوبيت) ثم الى (بوذيت) ثم الى (بوذية) ثم قالوا أبوذية، وللدوبيت وزن واحد هو : (فَعْلُنْ –مُتَفَاعِلُنْ–فَعُوْلُنْ– فَعِلُنْ) مكررة مرتين [١٨] ، وقد نظم صفي الدين الحلي في ديوانه الكبير مجموعة من الدوبيتات، اذكر منها قوله [١٩]:

يا مَن لِجَمالِ يوسُفٍ قَد وَرِثا العاذِلُ قَد رَقَّ لِحالي وَرَثى
وَالناسُ تَقولُ إِذ تَرى حُسنَكَ ذا سُبحانَكَ ما خَلَقتَ هَذا عَبَثا

وقوله [٢٠]:

أَهوى قَمَراً كُلُّ الوَرى تَهواهُ ما أَرخَصَ عِشقَهُ وَما أَغلاهُ
يَنأى مَلَلاً وَخاطِري مَأواهُ ما أَبعَدَهُ مِنّي وَما أَدناهُ

وقوله[٢١]:

العيدُ أَتى وَمَن تَعَشَّقتُ بَعيد ما أَصنَعُ بَعدَ مُنيَةِ القَلبِ بِعيدِ
ما العَيشُ كَذا لَكِنَّ مَن عاشا رَغيد مَن غازَلَ غِزلاناً أَو عاشَرَ غيدِ

. المخمسات

المخمسات كما يدل اسمها عبارة عن قطع تتألف كل واحدة منها من خمسة اشطر، الاربعة الاولى ذات قافية موحدة والخامس بمثابة اللازمة التي لها قافية خاصة بها [٢٢] ، ولابن رشيق رأي في هذا الموضوع إذ يقول (وربما كانت اصلا للمخمسات بالتزام قافية واحدة لكل بيتين، ثم استحدث ذلك التزام روي واحد للقسم الخامس في كل مقطوعة، فيصير مخمساً)[٢٣]:

ولصفي الدين الحلي في ديوانه الكبير مجموعة من المخمسات منها قوله [٢٤]:

مـــن عاشـــقٍ نـــاءٍ، هـــواهُ دانْ نـــاطقُ دمـــعٍ صـــامتُ اللســـانْ
موثـــق قلـــبٍ مطلـــق الجثمـــانْ معـــذّبٌ بالصـــدَّ والهجـــرانْ

طليقُ دمعٍ، قلبهُ في أسرِ

مـــن غيـــر ذنـــب كســـبت يـــداهْ غيـــر هـــوى نمّـــت بـــه عينـــاهْ
شـــوقا الـــى رؤيـــة مـــن اشـــفاه كأنمـــا عافـــاه مـــن أبـــلاهْ

إذ كان أصل نفعه والضرّ

ياويحـــه مـــن عاشـــق مـــا يلقـــى مـــــن أدمـــــعً منهلّـــــة ماترقّـــــا

ذاب إلـــى أن كـــاد يفنـــي عشـــقا وعـــن دقيـــق الفكـــر عنـــه د قّـــا

فكاد يخفى عن دقيق الفكرِ

لـم يبـق منـه غيـر طـرفٍ يبكـي بـــأدمع مثـــل نظـــام الســـلكِ

يخمـــد نيـــران الهـــوى ويـــذكي كأنّهـــا قطـــرُ الســـماء تحكـــي

هيهات هل قيْس دم بقطرِ

إلـــى غـــزال مـــن بنـــي النصـــارى فضّـــل بالحســـن علـــى العـــذارى

كـــلُّ الـــورى منـــذ نشـــأت حيـــارى فـــي ريقـــة الحـــب لـــه أســـارى

ينشد قول مدركٍ في عمرو

وقال يصف الصيد ورماية البندق: ويذكر طير قدمته الذي صرعه أولا [٢٥]:

اما ترى الأنواء والسحائبا سحائباتتال قد اصبحت دموعها سواكبا

فاكتست الارض بها جلابببا فأضهرت أزهارها عجائبا

غرائبا أضحت لنا رغائبا

هذي الروابي بالكلا قد توجتْ ونسمة الخريف قد تأرجتْ

وقد صفت مياهه ورجرجتْ والارض بالأزهار قد تدبجتْ

وأصبح الطلّ عليها ساكبا سا

فقم، فقد تم لنا طيب الهنا والدهر قد من علينا بالمنى

والعيش قد رقت حواشيه لنا ومسعدي شرخ الشباب والغنى

هما اللذان غمرا لي جانبا جا

المخمس المضمن: من ذلك قال عند نزوله بدمشق مخمسا لقصيدة السموأل ابن عاديا [٢٦]:

إذا المَرْءُ لَمْ يَدْنَسْ مِن اللُّؤْمِ عِرْضُـهُ فكُـلُّ رِداءٍ يَرْتَدِيـهِ جَمِيـلُ

وإِنْ هُو لَمْ يَحْمِلْ على النَّفْسِ ضَيْمَها فَلَيْسَ إلـى حُسْنِ الثَّناءِ سبيلُ

فقال:

قبيح بمن ضاقت عن الارض ارضهُ وطول الفلا رحب لديه وعرضهُ

ولم يبل سربال الدجى فيه ركضهُ إذا المرء لم يدنس من اللؤم غرضهُ

فكل رداء يرتديه جميلُ جمي

إذا المرء لم يحجب عن العين نومها ويغلي من النفس النفيسة سومها

أضيع ولم تأمن معاليه لومها وان هو لم يحمل على النفس ضيمها

فليس الى حسن الثناء سبيلُ

وعصبة غدر ارغمتها جدودنا فباتت، ومنها ضدنا وحسودنا

إذا عجزت عن فعل كيد يكيدنا تعيرنا انا قليل عديدنا عدي

فقلـــت لهـــا: ان الكـــرام قليـــلُ

. المسمطات

(التسميط بدأ بان يبتديء الشاعر ببيت مصرع،ثم يأتي بأربعة اقسام على غير قافيته،ثم يعيد بيتا واحدا من جنس ما ابتدا به،وهكذا في كل مقطع الى اخر القصيدة)١ (ظهرت المسمطات بعد المربعات والمخمسات، إلا إذا ثبت أن المسمط المنسوب إلى امرىء القيس هو من نظمه حقاً وليس بمنحول، وهو الذي يقول فيه (على الطويل الصحيح الضرب) [٢]:

توهمتُ من هند معالم أطلال عفا من طول الدهر في الزمن
مرابع من هند خلت ومصايفُ يصيح بمغناها صدى وعوازفُ
وغيرها هوج الرياح العواصفُ وكل مسف ثم آخر رادفُ
بأسحم من نوءِ السماكين مطّال مطا [٢٧]

نظم صفي الدين الحلي في شعر المسمطات في ديوانه الكبير ومن ذلك قال يرثي السلطان الملك المؤيد عماد الدين صاحب حَماة مسمطاً لقصيدة الوزير أبي الوليد أحمد بن زيدون "أضحى التنائي بديلا عن تدانينا" وذلك سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة حيث يقول [٢٨]:

كان الزمان بلقياكم يمنينا وحادث الدهر بالأحزان يبلينا
فعندما صدقت فيكم أمانينا أضحى ألتنائي بديلا عن تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا تجافي
خلنا الزمان بلقياكم يسامحنا لكي تزان بذكراكم مدائحنا
فعندما سمحت فيكم قرائحنا بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا
شوقا اليكم ولا جفت مآقينا ماقيناكمه
لم يرضنا أن دعا بالبين طائرنا شق الجيوب، وماشقت مرائرنا
ياغائبين ومأواهم سرائرنا تكاد حين تناجيكم ضمائرنا
يقضـي علينـا الأسـى لـولا تأسـينا
حمدت أيام أنس لي بكم سعدتْ وأسعدت إذ وفت فيكم بما وعدتْ
يوم إذ غبتم، والدار قد بعدتْ حالت لفقدكم أيامنا فغدتْ

سودا وكانت بكم بيضا لياليا لياليا

فزنا بنيل الأماني من تشرفنا بقربكم، أذ برينا من تكلفنا

حتى كأن الليالي في تصرفنا إذ جانب العيش طلق من تألفنا

ومورد اللهو صاف من تصافينا تص

كم قد وردنا مياه العزّ صافية وكم عللنا بها الارواح ثانية

إذ عينها لم تكن بالمن آنية إذ هصرنا فنون الوصل دانية

قطافها فجنينا منه ما شينا

وقال مسمطا قصيدة لابن حمديس [٢٩]:

قد أيقظ الصبح ذوات الجناح وعطر الزهر جيوب الرياح

وارتاحت النفس الى شرب راح قم هاتها من كف ذات الوشاح

فقد نعى الليل بشير الصباح

باكر فطرف الدهر في غفلة وانت من يومك في غفلة غفلة

فاعجل، فظل العيش في نقلة واحلل عرى نومك عن مقلة

تقل الحاظا مراضا صحاح

وينظر-ايضا- مسمطا لمحي الدين بن زيلاق [٣٠].

المبحث الثاني: الفنون الشعرية المستحدثة

قال عنها الابشيهي في المستطرف(والفنون السبعة المذكورة عند الناس ،هي :الشعر القريض، والموشح، والدوبيت، والزجل، والكان وكان، والقوما، ومنهم من جعل الحماق من السبعة، وفي ذلك

اختلاف، وعند جميع المحققين ان هذه الفنون السبعة منها ثلاثة معربة ابدا، لا يغتفر فيها اللحن، وهي الشعر القريض، والموشح، والدوبيت، ومنها ثلاثة ملحونة ابدا، وهي الزجل والكان وكان والقوما، منها واجد وهو البرزخ بينهما يحتمل الاعراب واللحن وهي المواليا .....وقد أوضح قاعدة الجميع وامثلتها صفي الدين أبو المحاسن في ديوانه وسماه بالعاطل الحالي والمرخص الغالي ...)[٣١] .

. الزجل

(وهي واحدة من فنون الشعر الشعبي الاربعة القديمة عند العامة، والشائع في هذا الضرب من النظم أن يأتي الزجال بثلاثة أشطر متشابهة القوافي يعقبها شطر رابع تكون قافيته مختلفة عن الثلاث الباقيات، ولكنها بمثابة اللازمة إذ إن رويها يلتزم في كل شطر رابع من المقاطع التي تليه في القصيدة وهو من النوع الذي يعرف عند العراقيين بالعتابا وبحره الوافر ويجري على نفس النسق المورد أعلاه أي أن البيت يتألف في الحقيقة من أربعة أشطر أو مصاريع، الثلاثة الاولى من روي معين والرابع من روي مغاير له، ولكنه ملتزم في كل شطر رابع في القصيدة، ويشيع الجناس عادة في القوافي الثلاث الأولى كما ترى، وقد اختلف في تسميته بالعتابا، فربما جاءت من انها نسجت في أول أمرها على نسق قول جرير الوافر:

أقلـــي اللـــوم عـــاذل والعتابـــا وقـــولي إن أصـــبت لقـــد أصـــابا

هذا فضلاً عن أنها تتضمن الشيء الكثير من عتاب الخلان والأحباب، وقد ينظم الشعر الزجل أقفالاً، ولا يزيد القفل الواحد على بيتين في الغالب، وقد يكون للبيت رويّان أحدهما للصدر والآخر للعجز، تسوده قافية واحدة على نحو ما نجد عند سكان جنوب العراق ولا سيما نسائهم) [٣٢] وعنها يقول صفي الدين الحلي: (وهو ارفعها رتبة وأشرفها نسبة، واكثرها اوزانا، وأرجحها ميزانا ولم تزل الى عصرنا هذا اوزانه متجددة، وقوافيه متعددة ومخترعوه اهل المغرب، ثم تداوله الناس بعدهم.١

((الزجل في اللغة هو الصوت، يقال: سحاب زجل، إذا كان فيه الرعد، ويقال لصوت الأحجار والحديد والجماد أيضاً: صوت وزجل، وقد وريت بذلك في براعة استهلال الخطبة بقولي: الحمد لله الذي علا زجل الملائكة في عالم الملكوت بحمده. وإنما سمي هذا الفن زجلاً لأنه لا يلتذ به وتفهم

مقاطع أوزانه حتى يغنى به ويصوت، وقد قسمه مخترعوه إلى أربعة أقسام يفرق بينها بمضمونها المفهوم لا بالأوزان واللزوم، فلقبوا ما تضمن الخمري والزهري زجلاً، وما تضمن الهزل والخلاعة بليقاً. وما تضمن الهجاء والثلب قرقياً. وما تضمن المواعظ والحكمة مكفراً، وهو مشتق من تكفير الذنوب، وأطلقوا على كل ما أعرب بعض ألفاظه من هذه الأربعة لقب المزنم)[٣٣] وقد أسهب صفي الدين الحلي في شرح انواع الزجل وجميع ما يتعلق به.

وعن نظمه للأزجال، قال في مقدمة ديوانه (ولقد نظمت في الصبا أزجالا، وامتحنت بالأسفار بأخر، أخليت الجميع من تلك العيوب خوفَ أن يقال: اني قصدت بتقرير ذلك إقامة عُذري، فأكون كما قال الله تعالى: {فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ}) [٣٤].

(والفاظ الحلي في أزجاله سهلة مختارة، كثيرٌ منها قريب الى ألفاظ الفصحى ولعلّ سبب هذا أن الصفي كان يتكلم بلغة الخاصة لغة الأدباء والعلماء، فهي مهذبة الالفاظ بعيدة عن كلام ألعامة قريبة الى الفصحى، وقد وجدنا أن الصفي يرفع أواخر بعض الكلمات التي يقف عندها [٣٥]

بعدها ذكر شيئا من أزجاله وهذا سطر شيء منها لوعدي به في اول الديوان [٣٦]

نعشقْ قمرْ	قدْ طلعْ	في تمامو
عقليْ قمرْ	حينْ خلعْ	غيمْ لثامو
سيدْ السمرْ	بالله معْ	ذُبْ كلامو
مُترّكُ أللّحظْ	أحور	مستعربْ أللفظْ
أسمر	طرفـو	لي سبا
يفو	قُ الظّبا	
والحاظ با	بلْ	بليّه
هي في العشقْ با	بْ	الْمَنيّه
نعشق صَغيرْ	لي شَهرْ	سيفْ عِنَادو

كَمْ ريْتْ كَبيرْ قدْ اسَرْ في قِيادُو

قَلبيْ الكَسيْر والنّظرْ طُوْغْ مُرادُو

عَيْني وقَلْبيْ اذا أقْبَلْ غِيْرْما يُردْ بيْ ما تقبلْ

أصيْر ان خَطَرْ أسيرْ في خطرْ

كيف نقضى وطرْ فيْ قَضيّهْ

وقلبي وَطَرْ في عَليّهْ

مَحبُوبي مَنْ رَاهْ يَتيْهْ في جَمَالو

ليسَ فيْ الزّمَنْ لو شَبيْه فيْ كَمَالو

لَوْ خَدّ مِنْ قَاهْ وفِيهْ نَقْطْ خَالُو

ومن زجله ايضا قوله [٣٧]:

أنـــت يـــا قبلـــة الكـــرام زينـــة المـــال والبنـــين

الله يعطيـــك فـــوق ذا المقـــام ويعيـــدك علـــى الســـنين

أنـــت شـــاما بـــين الأنـــام الله يحـــرس شـــمايلك

ويزيـــدك بالـــدوام كـــي نعـــيش فـــي فواضـــلك

مـــا ينطـــوي ذكـــر الكـــرام لمـــا تنشـــر فضـــايلك

ونهنيـــك لكـــل عـــام والخلائـــق تقـــول آمـــين

قـــد بقينـــا بـــك فـــي أمـــان الله يعطـــي لـــك البقـــا

الله يحييـــك طـــول الزمـــان فـــي ســـعادة بـــلا شـــقا

انـــت كســـرى فـــي ذا الاوان صـــاحب العـــدل والتقـــى

قـــد حويـــت عـــز واحتشـــام وســـماحة وراي ديـــن

مارايـنـــــا تحـــــت الفلـــــك فـــي الـــورى مـــن نـــداك اعـــمْ

كـــل مـــن جـــاك ليســـألك لـــس تقـــل لـــو ســـوى نعـــمْ

ذاملـــــــك ات أوملـــــــك ضـــــاعف الله لـــــك الـــــنعمْ

انـــت حقـــا بـــدر التمـــام وســـماك أفـــق مـــاردين

قدبـــــدا ســـــعدك الجديـــــد وســـما جـــدك الســـعيد

وعـــــلا قـــــدرك المجيـــــد فحكيـــــت جـــــدك الســـــعيد

انـــت منصـــور فمـــا تريـــد يســـــداد رأيـــــك الرشـــــيد

ات مـــأمون عقـــد الـــذمام وحمـــــاك للـــــورى أمـــــين

لا عـــد منـــا فـــي كـــل صـــوم ذا الســـــحور فيـــــك والهنـــــا

كـــــل ليلـــــة وكـــــل يـــــوم ينشـــــر الـــــذكر والثنـــــا

الله يحييـــك مـــن خيـــر قـــوم بـــــالغ القصـــــد والمنـــــى

حتـــى تقضـــي ذا الصـــيام بـــين ولـــدان وحـــور وعـــين

. المواليا

قال عنه الشاعر صفي الدين الحلي (وله وزن واحد وأربع قواف على روي واحد، ومخترعوه أهل واسط من بحر البسيط، اقتطعوا منه بيتين وقفّوا شعر كل بيت منها بقافية منها وسمّوا الأربعة صوتاً ومنهم من يسميها بيتين على الأصل ونظموا فيه اللفظ القوي الجزل في الغزل والمديح والصنائع على قاعدة القريض المعرب [٣٨].

فمن نظمهم في ذلك في المديح [٣٩]:

أضحت أنوف القنا ترعف وبيض تضحك وتنتحب الغارات خوفاً عندْ

لقا سنان بن عاصم مطعم الافرندْ لحم الحجاج ومن اعيا أساة السندْ

لم يزالوا على هذا الأسلوب حتى تسلّمه البغاددة فلطّفوه ونقحوه ورقّقوا ودقّقوا وحذَفوا الإعراب منه واعتمدوا على سهولة اللفظ ورشاقة المعنى [٤٠].

وذكره المحبي، قال (واول من اخترع المواليا اهل واسط وهو من بحر البسيط اقتطعوا منه بيتين وقفوا اشطر كل بت بقافية ونظموا فيه الغزل والمديح وسائر الصنائع على قاعدة القريض وكان سهل التناول تعلمه عبيدهم المتسلمون عمارتهم والغلمان وصاروا يغنون به في رؤوس النخل وعلى سقى المياه ويقولون في اخر كل صوت يا مواليا إشارة الى ساداتهم فسمي بهذا الاسم ....) [٤١].

ويقول الدكتور صفاء خلوصي: قيل ابتدعه اهل واسط، وقيل بعض اشياع البرامكة واتباعهم بعد نكبتهم، فقد حرم عليهم الرشيد رثاءهم باللغة الفصحى، فراحوا يرثونهم وينوحون عليهم بلغة غير – معربة اي بما يشبه العامية – وينهون مقاطعهم بعبارة: ((يا مواليا)) فعرف هذا اللون بالمواليا وقيل بل سبب التسمية موالاة قوافيه بعضها بعضا [٤٢].

(وقد كنت نظمت في أيام الصبا من أقسامه الثلاثة كثيرا لم أعبأ به، ولم أعزم على أيداعه بطون الدفاتر، فلما كلفت تدوين شيءٍ منه، وألزمني الشروع أثبات بعضه ،أخترت من كل قسم منها قدرا يسيرا، ليكون انموذجا شاهدا بصحة ما شرحت، وما وعدت به في خطبة ديوان القريض والمعربات وهذا حين تفصيله)[٤٣].

فمن ذلك في الفخر [٤٤]:

ان اقتم النقع كنا الضاربين الهام وان افاضوا الحجة كنا ذوي الافهام

وما برحنا بإرث الفضل والالهام تطوى الخناصر لنا او يعقد الابهام

ومنه في المدح٣)

يا طاعن الخيل والابطال قد غارت والمغصب الارض والاموات قد غارت

هواطل السحب من كفيك قد غات والشهب ما شاهدت اضواك قد غارت

. الكان وكان

قال عنه الحلي: وله وزن واحد وقافية واحدة ولكن الشطر الاول من البيت اطول من الشطر الثاني ولا تكون قافيته الا مرادفة قبل حرف الروي بأحد حروف العلة ومخترعوه البغداديون ثم تداوله الناس في البلاد فلم يجارهم فيه مجا ولم يدخل لهم مباري.

وسمي بذلك لأنهم أول ما اخترعوه لم ينظموا فيه سوى الحكايات والخرافات والمنصوبات، والمرجعات فكان قائله يحكي ما كان وكان ولفظه قالب لذلك وقابل له الى ان كثر واتسع طريق النظم فيه وظهر لهم مثل الشيخ العلامة قدوة ألأفاضل جمال الدين بن الجوزي والشيخ الفاضل شمس الدين محمد الواعظ والشيخ الأفضل الأكمل شمس الدين بن الكوفي الواعظ (رحمهم الله تعالى) فنظموا فيه المواعظ والرقائق والزهديات والأمثال والحكم فتداولها الناس [٤].

ويقول دكتور صفاء خلوصي عنه ذاكراً وزنه (٥):

مُستفعلنْ –فاعلاتن– مُستفعلن– مستفعلْ

مستفعلن –فاعلاتن –مستفعلنْ– فعلانْ

ياقاسي القلب مالك تسمع ما عندك خبرْ ومن حرارة وعظي قد لانت الأحجار

أفنيت مالك وحالك في كل مالا ينفعكْ ليتك على ذي الحالة تقلع عن ألأصرارْ

يقول صفي الدين الحلي عن نظمه في الكان وكان: فمما نظمت فيه لكي لا يخلو نظمي منه في الغزل موجها في الشطرنج [٤٥]:

أيْ من لعب بقلبي بحكمْ شطرنج	وغرّني وغلبني بكثرة الزغلاتْ
والله قويْ أي بيذق غلبت فرزين	ولو علمت بنقلك حسبت لك حسباتْ
دائمْ ترَمّد عليْ وما أحس ممّا جرى	وعند غيرك أقشع على عشر نقلاتْ
جعلتُ حظي ألأسود وتهتُ بأيضكَ	وان عذلتك تقل لي السود للساداتْ
أصف صفي والعب ثبت مس	وانت تنقل وترجع وماعليك ثبات

. القوما

قال عنه الحلي: وله وزنان الاول منها بيته مركب من أربع أقفال، منها ثلاثة متساوية في ألأوزن والقافية والاخر وهو الثالث أطول منها وهو مهمل بغير قافية، والوزن الثاني منها بيته مركب من ثلاثة أقفال مختلفة الوزن متفقة القافية يكون القفل الاول منه أقصر من الثاني والثاني أقصر من الثالث [٤٦].

ومخترعوه البغداديون –أيضا– في دولة الخلفاء من بني العباس برسم السحور في شهر رمضان.

واشتقاق اسمه من قول المغنين للتسحير في آخر كل بيت منه بعد غناء الرمل أو الزجل "قوما للسحور" ينبهون به رب المنزل ويذكرون فيه مدحه والدعاء له وتقاضيه بالأنعام.

فانطلق عليه هذا الاسم وصار علما له ثم لما شاع وكثر فيه التصنيف نظموا فيه الغزل والزهري والعتاب وسائر الانواع كما قبله من الفنون الأخر.

وقيل: ان أول من اخترعه منهم ابن نقطة برسم الخليفة الناصر والصحيح أنه مخترع من قبله وكان الناصر يطرب له وجعل لابن نقطة كل سنة ما يفضل عنه من الأنعام فلما توفي ابن

نفطة وكان له ولد صغير ماهر في نظم القوما والغناء به وأراد أن يعرف الخليفة بموت والده ليجريه على مفروضه فتعذر ذلك عليه فصبر الى دخول شهر رمضان، ثم أخذ أتباع والده من المسحرين ووقف في أول ليلة من الشهر تحت الأطيارة وغنى النوبة بصوت رقيق فأصغى الخليفة اليه وطرب فلما وصل الى القوما كان أول ما قاله:

يا سيد السادات لك بالكرم عادات أنا ابن نقطة تعيش أبي قد مات

فأعجب الخليفة منه هذا الاختصار واستحضره وخلع عليه وفرض له ضعفي ما كان لأبيه [٤٧].

ووزنه:٢

مُستفعلنْ – فاعلانْ مُستفعلنْ – فاعلانْ

أو

مُستفعلنْ –فَعلانْ مُستفعلنْ –فَعلانْ

شبيه بالكان وكان من هذه الناحية الا انه كان يستعمل للإنشاد في رمضان لإيقاظ النائمين لتناول السحور ويختلف عن الكان وكان ايضا في ان له وزنين كما ذُكِرَ آنفاً.

العاطل الحالي ص ؟؟

الخاتمة:

اختلفت نظرة الشاعر صفي الدين الحلي للادب والشعر، فقد عده فنا وغاية وليس وسيلة للكسب، لم يكن مقيدا باسلوب ادباء وشعراء عصره، فكان فنانا وشاعرا مبدعا ولم يلتزم بنهج ادباء وشعراء عصره

لقد جمع الشاعر صفي الدين الحلي بين الادب الملتزم وفق المنهج التقليدي واضاف اليه اشكالا جديدة تناسب ذوقه وذوق عصره وقد تمثل ذلك بنظمه اشكالا جديده للقصيدة الفصحى في ديوانه الكبير، مثل الموشحات وشعر الدوبيت والمخمسات والمسمطات، ونظم ايضا في الفنون الشعرية المستحدثة مثل الزجل والمواليا والكان كان والقوما وقد خصص لهذه الفنون كتابه الثاني (العاطل الحالي والمرخص الغالي) وقد اصّلَ في كتابه هذا لهذه الفنون وبدايات ظهورها وقواعدهاوالشعراء

الذين نظموا فيها، فضلا عن ما نظمه نفسه منها استجابة لذوقه الخاص وذوق العصر، فقد التفت الى ما شاع عند بعض الشعراء العامة مثل ابن قزمان الذين كانوا ينضمون الشعر العامي غير المعرب

لذلك يعد اول الشعراء الذين خرجوا على النهج التقليدي في النظم وجمع بين التقليد والتجديد بنظمه شعرا للخاصة وللعامة

يعد كتابه العاطل الحالي والمرخص الغالي اول المؤلفات في هذا الموضوع، وتابعه في ذلك بعض كبار الادباء مثل تقي الدين ابن حجة الحموي في كتابه خزانة الادب
ومثّل هذا معلما جديدا في تاريخ الادب العربي القديم.

وضحت خلال البحث لكل شكل من الاشكال الجديدة للقصيدة عند الحلي معززا الدراسة بما سبق من دراسات ومؤلفات مهمة قديمة وحديثه.

هوامش البحث:

(١) موسيقى الشعر، د. ابراهيم انيس ص١٨٦
(٢) الادب في بلاد الشام د. عمر موسى ص٦٠١
(٣) الادب في العصر المملوكي ،محمد زغلول سلام ج١،ص٣٠١
(٤) الادب في العصر المملوكي ،د.محمد زغلول سلام ج١،ص٣٠١
(٥) شعبية الص الشعري في منظور النقد العربي قديما وحديثا ،خديجة بن الابقع ،رسالة دكتوراة ، ص١٤٢
(٦) العاطل الحالي والمرخص الغالي صفي الدين الحلي، ص٢المقدمة
(٧) المصدر نفسه الصفحة نفسها
(3) فن التقطيع الشعري، د. صفاء خلوصي، ص٢٨٨
(٩) ملامح التجديد في موسيقى الشعر، د. عبد الهادي عبد الله عطية، ص١١٠
(١٠)فن التقطيع الشعري والقافية،د. صفاء خلوصي ص٢٨٨
(١١)تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ج٣ / ص١٢٤
(١٢) المصدر نفسه الصفحة نفسها
(١٣)توشيع التوشيح، صلاح الدين الصفدي، ص١
(١٤)ديوان صفي الدين الدين الحلي ،ص١٩٠
(١٥) ديوان صفي الدين الحلي ،ص٣٨٠

(١٦) افوات الوفيات ،ابن شاكر الكتبي ،ص٥٩١، وينظرديوان صفي الدين الحلي، ص٣٧٩

(١٧) تاريخ آداب العرب، مصطفى صادق الرافعي ج٣ / ص١٢٧

(١٨)فن التقطيع الشعري والقافية ،د.صفاء خلوصي ،ص٣٠١

(١٩)ديوان صفي الدين الحلي ،ص٣٨٧

(٢٠)المصدر نفسه ص٣٨٧

(٢١)ديوان صفي الدين الحلي ،ص ٣٨٦

(٢٢)فن التقطيع الشعري والقافية ،د.صفاء خلوصي ص٢٩٦

(٢٣)ملامح التجديد في موسيقى الشعر العربي، د. عبد الهادي عبد الله، ص

(٢٤)ديوان صفي الدين الحلي ،ص ٣٧٠

(٢٥)ديوان صفي الدين الحلي ،ص٢١٧

(٢٦)المصدر نفسه ،ص٣٦

٢٧فوات الوفيات ، ابن شاكر الكتبي ، ج١ ،ص٥٩١

٢) فن التقطيع الشعري والقافية ،د.صفاء خلوصي ،ص٣٩٨

(٢٨)ديوان صفي الدين الحلي ،ص٣٠٥

(٢٩) ديوان الحلي ص٤٢٨

(٣٠) ينظر ديوان الحلي ص٣٤٦

(٣١) المستطرف في كل فن مستظرف ، الابشيهي ،ص٦٤٤

(٣٢) فن التقطيع الشعري ،د صفاء خلوصي ،ص٣٤٢

(٣٣) بلوغ الامل في فن الزجل ،ابن حجة الحمويص٥٦

(٣٤) العاطل الحالي والمرخص الغالي ،ص٨٦

(٣٥) شعر صفي الدين الحلي ،احمد علوش ،ص٢٤٥

(٣٦) العاطل الحالي والمرخص الغالي ،ص٨٦

(٣٧) العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص٩٥

(٣٨) العاطل الحالي ص ١٠٥

(٣٩)المصدر نفسه ص١٠٥

(٤٠) نفسه ص١٠٦

(٤١) خلاصة الاثر في اعيان القرن الحادي عشر المحبي

([٤٢])فن التقطيع الشعري ص٣٤٤

([٤٣]) العاطل الحالي ص١٠٨

([٤٤]) المصدر نفسه الصفحة نفسها

(٣) نفسه

(٤) نفسه ص١١٥

(٥) فن التقطيع الشعري والقافية ،د.صفاء خلوصي ص٣٤٧

([٤٥]) العاطل الحالي والمرخص الغالي، ص١١٥

([٤٦])لمصدر نفسه،ص١٢٧

(٤٧)العاطل الحالي ص١٢٨

(٢) فن التقطيع الشعري، ص٣٤٩-٣٥٠

المصادر:

- القرآن الكريم

١. . الادب في بلاد الشام في عصور الزنكيين والايوبيين والمماليك ،د.عمر موسى باشا،المكتبة العباسية –دمشق ،١٩٧٢

٢. . الادب في العصر المملوكي ،د. محمد زغلول سلام ج١،دار المعارف –مصر ١٩٧٠

٣. بلوغ الامل في فن الزجل ،اتقي الدين أبو بكر بن حجة الحموي ،تحق د. رضا محسن القريشي،منشورات وزارة الثقافة والإرشاد،دمشق ١٩٧٤

٤. ديوان صفي الدين الحلي ،د.عمر فاروق الطراح ، ط١ ،بيروت –لبنان،

٥. . تاريخ اداب العرب ،مصطفى صادق الرافعي ،ج٣،دار الكتب العلمية ،بيروت –لبنان ط ٢٠٠٠،

٦. التجديدفي اوزان الشعربين آراء العلماء وابداع الشعراء،د.شعبان صلاح ،كلية دار العلوم – جامعة القارة ٢٠٢١م

٧. . توشيع التوشيح ،صلاح الدين الصفدي ،دار الثقافة للطباعة والنشر،١٩٨٩

٨. ديوان صفي الدين الحلي

٩. خلاصة الأثر في اعيان القرن الحادي عشر ،المحبي

١٠. شعر صفي الدين الحلي جواد احمدعلوش،مطبعة دار المعارف -بغداد ،١٩٥٩

١١.العاطل الحالي والمرخص الغالي ،صفي الدين الحلي ،تح د.حسين نصار ،مطبعة دار الكتب والوثائق القومية -القاهرة ،ط٥-منشورات مكتبة المثنى -بغداد

١٢. شعبية النص الشعري في منظور النقد العربي قديما وحديثا،اطروحة دكتوراة، خديجة بن الابقع،الجزائر -جامعة زيان، كلية الاداب واللغات والفنون- قسم اللغة العربية وآدابها تخصص: الادب الشعبي ٢٠١٩-٢٠٢٠

١٣.المستطرف في كل فن مستظرف ،شهاب الدين بن محمد بن احمد الابشيهي ،تح محمد خير الإسكندرية ،٢٠٠٢م

١٤.موسيقى الشعر ،د. ابراهيم انيس،مكتبة الانكلو المصرية ،مطبعة لجنة البيان العربي ، ١٩٥٢

١٥. فن التقطيع الشعري والقافية ،د.صفاء خلوصي ،منشورات مكتبة المثنى -بغداد ،ط٥ ١٩٧٧

١٦-فوات الوفيات ،ابن شاكر الكتبي ،ج١ ،تح محمد محيي الدين عبد الحميد ،مكتبة النهضة المصرية -القاهرة .